

فضل الرحمن في الوقف على (كذلك) في سورة الفرقان

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٢]

قال الفراء (ت ٢٠٧ هـ): "وقوله: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ﴾ يُقال: إنها من قول المشركين؛ أي: هَلَّا أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنَ جُمْلَةً، كما أَنْزَلَ التوراة على موسى. قال الله (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ)، كان ينزل الآية والآيتين فكان بين نزول أوله وآخره عشرون سنة. (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا): نزلناه تنزيلاً. ويُقال: إن ﴿كَذَلِكَ﴾ من قول الله، انقطع الكلام من قِيلَهُمْ ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ قَالَ اللهُ: (كذلك أنزلناه يا مُحَمَّدٌ متفرقاً لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ)، معاني القرآن للفراء ٢/ ٢٦٧.

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ): "﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ﴾ قيل هذا التمام، والمعنى: (أنزلناه متفرقاً لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ كَذَلِكَ التثبيت كما قال جل وعز: ﴿وَلَوْلَا أَنْ تُبَيِّنَ لَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤]؛ لأنه إذا أنزله متفرقاً كان فيه جواب ما يسألون في وقته فكان في ذلك تثبيت فقيل التمام قوله ﴿كَذَلِكَ﴾. وقيل التمام عند قوله ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، والمعنى: (وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كالتوراة والإنجيل)، ومعنى هذا: لم أنزل متفرقاً؟ فقال جل وعز: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: أنزلناه متفرقاً لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ"، معاني القرآن للنحاس ٥/ ٢٤.

قال أبو جعفر النحاس (ت ٣٣٨ هـ): "﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا﴾ [الفرقان: ٣١] الكاف في موضع نصب نعت لمصدر محذوف، وكذا الكاف في ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، المعنى: تثبيتها كذلك التثبيت، هذا على أن يكون التمام عند قوله جل وعز: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، وإن كان التمام عند ﴿كَذَلِكَ﴾ كان التقدير: (ترتيلاً كذلك). وهذا لما لم يجد المشركون سبيلاً إلى تكذيب النبي ﷺ ببرهان ولا حجة قالوا ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، فسألوا ما الصلاح في غيره؛ لأن القرآن كان ينزل مفرقاً جواباً عما يسألون عنه، وكان ذلك من علامات النبوة لأنهم لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه. وهذا لا يكون إلا من نبي فكان ذلك تثبيتها لفؤاده وأفئدتهم، ويدل على هذا الجواب، ولو نزل جملة لكان قد

سبق الحوادث التي كانت ينزل فيها القرآن، ولو نزل جملة بما فيه من الفرائض لثقل ذلك عليهم علم الله جلّ وعزّ. إنّ الصّلاح في إنزاله متفرّقاً لأنهم يتبّهون به مرّة بعد مرّة ولو نزل جملة لزال معنى التنبية، وفيه ناسخ ومنسوخ فكانوا يعبدون بالشيء إلى وقت بعينه قد علم الله جلّ وعزّ فيه الصّلاح ثم ينزل النسخ بعد ذلك فمحال أن ينزل جملة افعلوا كذا وكذا، ولا تفعلوا، والأولى أن يكون التمام ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ لأنه إذا وقف على ﴿كَذَلِكَ﴾ صار المعنى كالتوراة والإنجيل والزبور، ولم يتقدّم لهما ذكر. قال أبو إسحاق: وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا أَي أَنْزَلْنَاهُ. قيل: الترتيل وهو التمكن وهو ضدّ العجلة، إعراب القرآن، النحاس ٣/ ١١٠.

قال مكّي بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ): "قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ﴾ أي: قال مشركو قريش: هلاً نزل القرآن على محمد عليه السلام: ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ كما نزلت التوراة والإنجيل. قال الله تعالى وجل ذكره: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: (فرقنا نزوله، لنثبت به فؤادك)، فلا بد من إضمار فعل إذا وقفت على ﴿كَذَلِكَ﴾. وقيل، الوقف على ﴿وَاحِدَةً﴾، ثم تبدئ ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ﴾، أي: (نزل متفرّقاً لنثبت به فؤادك). وقيل، إن (ذا) من ﴿كَذَلِكَ﴾: إشارة إلى التوراة. أي: (لولا نزل عليه القرآن ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ مثل ذلك)، أي: مثل التوراة، فتقف على ﴿كَذَلِكَ﴾، وتبدئ ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: (فعلنا ذلك لنثبت)، أي: (ونزلناه متفرّقاً لنثبت)، فتضمّر ما يتعلق به اللام، ويكون الكاف في موضع نصب نعت لـ: ﴿جُمْلَةً﴾. ومن ابتداء بـ: ﴿كَذَلِكَ﴾ جعل الكاف في موضع نصب نعتاً لمصدر محذوف أي: نزلناه تنزيلاً ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: فرقنا نزوله ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾؛ لأنهم سألوا ما الصّلاح في غيره؟ لأن القرآن كان ينزل متفرّقاً جواباً عما يسألون عنه، وكان ذلك من علامات النبوة، إذ لا يسألون عن شيء إلا أجيبوا عنه، وهذا لا يكون إلا من نبي. فكان ذلك تشبيهاً لفؤاده وأفئدتهم، وبين الله هذا المعنى بقوله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣]، فكان في نزوله متفرّقاً الصّلاح، والرشد، ولو نزل جملة لكان قد سبق الحوادث التي ينزل فيها القرآن، ولو نزل ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ بما فيه من الفرائض لثقل ذلك عليهم، فعلم الله جلّ ثناؤه ما فيه من الصّلاح، فأنزله متفرّقاً، ولو ﴿جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾ لزال معنى التثبيت، ولم يكن فيه ناسخ ولا منسوخ، إذ

لا يجوز أن يأتي في مرة واحدة افعلوا كذا ولا تفعلوا. قال ابن عباس: نزل متفرقاً على النبي ﷺ ليعلمه عن ظهر قلب. وقيل معنى: ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ لَتَعِيَهُ؛ لأنه لم يكن ﷺ يكتب، فلو نزل مرة واحدة، لصعب عليه حفظه مرة واحدة، ولشق ذلك عليه، فأنزله الله متفرقاً شيئاً بعد شيء، ليسهل عليه حفظه، وليعيه على وجهه. و(ذا) من: ﴿كَذَلِكَ﴾ إشارة إلى التفريق، والمعنى: أنزلناه متفرقاً ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، فالوقف على هذا على ﴿وَاحِدَةً﴾. وقيل: (ذا) إشارة إلى التوراة والإنجيل: قاله الفراء وغيره. فيكون الوقف ﴿كَذَلِكَ﴾، وفيه بعد؛ لأنه إشارة إلى ما لم يجر له ذكر، فأما القول الأول: فإن معنى التفريق قد تضمنه قولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً﴾، لأن معناه لم نزل متفرقاً؟ فقال الله تعالى نزل: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ﴾، أي: نزل متفرقاً لنثبت به فؤادك يا محمد. وقيل: إن (ذا) إشارة إلى التثبيت، أي: تثبيتاً كذلك التثبيت، الهداية إلى بلوغ النهاية، ٨ / ٥٢١٣.

قال أبو حيان الأندلسي (ت ٧٤٥ هـ): "وَاللَّامُ فِي ﴿لِنُثَبِّتَ بِهِ﴾ لَامُ الْعَلَّةِ. وَقَالَ أَبُو حَاتِمٍ: (هِيَ لَامُ الْقَسَمِ، وَالتَّقْدِيرُ: (وَاللَّهُ لِيُثَبِّتَنَّ)، فَحُذِفَتِ النُّونُ وَكُسِرَتِ اللَّامُ، انْتَهَى. وَهَذَا قَوْلٌ فِي غَايَةِ الضَّعْفِ، وَكَانَ يَنْحُو إِلَى مَذْهَبِ الْأَخْفَشِ أَنَّ جَوَابَ الْقَسَمِ يُتَلَقَّى بِلَامٍ (كَي)، وَجُعِلَ مِنْهُ: ﴿وَلِتَضَعِيَ إِلَيْهِ أَفئِدَةٌ﴾ [الأنعام: ١١٣]، وَهُوَ مَذْهَبُ مَرْجُوحٍ. وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: {لِيُثَبِّتَ} بِأَلْيَاءِ أَيْ: (لِيُثَبِّتَ اللَّهُ)، وَرَتَّلْنَاهُ أَيْ فَضَّلْنَاهُ. وَقِيلَ: بَيَّنَّاهُ. وَقِيلَ: فَسَّرْنَاهُ، البحر المحيط ٨ / ١٠٤.